

غياب الرؤية الاستراتيجيَّة لقادة الدولة العثمانية انتاج الاحتلال في العالم العربي.. العربي.. سليم الاول نموذجا!!

هـل كان العالـم العربي في حاجـة الى حكم جديـد إثر اجتياح جيوش السـلطان العثماني " سـليم الأول" لبلادهـم؟؟ فقد كان المماليك يحكمون الشـام ومصر، وكان عرب الجزيرة العربية يعيشـون حالة سـكون ولا يريدون محتل جديد يعيد انتاج نفس الاسـتبداد والإهمـال، لقد كان العرب في تلك الأقاليم تواقون لحكم أنفسـهم بأنفسـهم إثر معاناتهم لقرون من النزاعات، وهو ما حصل لاحقا في الجزيرة العربة على يدي الإمام محمد بن سـعود عندما أسـس أول "إمامة" عربية خالصة في الجزيـرة العربية منذ ارتحال العاصمة الاسلامية من المدينة المنورة الى الكوفة.

ما فعله سـليم الأول في نهاية الامر كان استبدال الخريطة العثمانية التي خسرتها إثر هزيمتها اما الجيش الفرنسـي والاسـباني في اوروبا بخريطة أخـرى جنوبا وتحديدا في " العالم العربي"، مسـتغلا الفراغ الذي تركه المماليك، وعدم وجود دولة عربية واحدة قادرة على التصدي للأطماع العثمانية.

لم يتعامل سـليم الأول وجيوشـه مع "اخوتهم في الإسلام" كما كان يفترض، بل ان المجازر المروعة التي ارتكبت في العراق والشام ومصر، تشير الى ان العثماني لم ير في البلاد العربية الا مغانم وشـعوبا مأسورة عليها الانخراط في مشروعه الاحتلالي او سيكون مصيرها المشانق والخوازيق.

ولعل المجـازر التي ارتكبت في حق مكونات اجتماعيـة كان قدرها ان تعيش تحت الإدارة العثمانية في عهد سـليم الأول، تشير بوضوح للنهج الذي استخدمه السلطان في إدارة دولتـه القائم على القتل والترويع، وهـو إرث انتقل بعد ذلك مع السلاطيـن العثمانيين في تعاملهم مع الشعوب التي قدر لها ان تعيش تحت الاحتلال التركي.

لم يكن عند سليم الأول اســتراتيجية حكم واضحة للتعامل مع جيرانه العرب الذين أصبحوا فجأة تحت احتلاله، فكل ما فعله انه جلس على عرشه في إسطنبول وادار جيشه من الغرب الى الجنوب، ثم أطلق أيدي انكشــاريته للتعامل مع العرب المدنيين غير المســلحين، محولا البلاد العربيــة الى مجرد حصالة كبيــرة للغلات والاموال تتــم مصادرتها وجلبها الى العاصمــة العثمانية "إســطنبول" التــي كانت عبارة عن ثقب اســود لا يشــبع من الأموال والضرائب، تلبية لحياة البذخ والمجون والغنى التي عاشها السلاطين.

الية الحكم المســتبدة التي اتبعها ســليم الأول مع العالم العربي اثر سقوط الشام ومصر ثم الجزيرة العربية تحت احتلاله لم تأت من فراغ بل كنتيجة طبيعية لتنشئة قامت في أساسها على الاستبداد وسلوك عنيف اتخذه طريقا في الوصول للحكم أولاً.

لقـد وصف سـليم الأول بانه "مسـتبد بالحكم، سـفاكا للدماء"، بدء مـن حياكته للمؤامـرات ضد اخوتـه، -ومنهم ولي العهد الـذي كان يفترض ان يتولى السـلطنة- ووالده السـلطان، ثم انتقاله الى قتل إخوته تباعا ثم اشـتراكه في مؤامرة مع الإنكشـارية ضد والده السلطان بايزيد وصولا الى خلعه وقتله، وليس انتهاء باختطاف الخليفة العباسي من القاهرة، وجلبه الى إسطنبول ثم اجباره على التنازل عن الخلافة لصالحه دون وجه حق.

السلطان بايزيد وصولا الى خلعه وقتله، وليس انتهاء باختطاف الخليفة العباسي من القاهرة، وجلبه الى إسطنبول ثم اجباره على التنازل عن الخلافة لصالحه دون وجه حق.

ما ســبق يعطينا إضاءات سريعة عن اهم ما فعله الســلطان سليم الأول، والتي لا تتجاوز هدم الخلافة العثمانية، واستبدال احتلال

العثمانيين لأجزاء من اوروبا باحتلاله للأراضي العربية وسفكه دماء أهلها واستنزافه لثرواتها.